نـافـذة

## الشام والحب

هناك تقبع وحدها لا يدانيها مخلوق، ولا يقترب منها أحد مهما بلغت مرحلة سموه، فهي وحدها يغلبها الأرق، فنحزن لأي مسحة رماد تغطي وجه العابد، وتبدأ تلوب بحثاً عنه في كل الثنايا، لتكتشف كم هي غمرته بذاتها، ولتعرف الشام أنها ولدته ذات يوم غابر، وعند كل صباح تقدر وحدها على أن تجعل دورة أمومته في رحمها تكتمل، مع كل مطلع فجر تختصر الشام تسعة أشهر من أمومتها لكنزها الذي أحبها وأحبته، وتبعد بروحها حبل المشيمة عن رقبته ليخرج حياً معافى. في ذلك الصباح، وفي كل صباح تشعر أنها تلده من جديد، وأن الأشهر التسعة هي لحظة واحدة من مخاض أمومتها المقدس! دارت الدوائر، تكاثفت الغيوم، تناثر الرماد، بحار من دم، وغرتها بقيت محتفظة بطهرها لم تلوث لذاك الذي في البال، ولا يعرف البال سواه، ولا يعرفه سوى البال..

سرير من ألم يغطي كل شيء
وجع يمتد من الرمش إلى الرمش
ونور عين يخبو شيئاً فشيئاً ولا مكان للحياة دونه
وحده هو النور الذي يحيا به وتحيا به
وحده يرسم لوحة لعيني شام، وشعرها المنساب من قاسيون إلى صالحيتها، وإلى عمامة الشيخ الأكبر.
وحده النور يلتقط الصورة ويرسمها، وبلا نور لا لوحة..
وتتلمس شام وجهها
وتدور اليد في الأنحاء المرئية وغير المرئية، ففيها قاسيون يخضع للأنسنة، وفيها النمرود يصبح رحيماً، وفيها الحاقد يصبح متسامحاً، وعلى أرضها يتحول الإنسان من عدو إلى قديس، فيخرج ناشراً حبه للعالم.
في الشام الأمر مختلف..
قد لا تكون الأجمل في نظر نفسها.. لكنها الأجمل في نظر عابدها
قد لا تتلمس قداسة على تربها حين تتأمل ترابها ومساماتها
لكن من يقدسها يشمّ بخوراً ومسكاً وعنبراً
فيها يجتمع عطر السهل والجبل والبحر لتشكل كوناً كاملاً في ذاتها..
هي وحدها لا تبخل
وهي وحدها لا تعطي نفسها مقدارها
لأنها تريد لعاشقها ألا يصطدم بكبريائها فيتوقف
يرتجف.. يرتعد
يعود إلى مكانته
يمارس صلواته
وهي تتلمس رأس العابد فيه
ترقب عينيه تبرقان وتتمتمان بالصلوات
تشهد تبدله وصلواته لينحني بكله بين ذي الكفل وحنانيا
يردد آياته وهو يعبر المغاور
يقطر ماء وضوئه بها وهو يدلف في سراديبها
وحين يغمره العطر فيها منها يطيل سجوده
وتعود الحياة إلى مساماته وعينيه
وتأخذه رعشة حب شام التي ما مثلها
الكره في شام حب لا مثيل له
والحب للشام قداسة وتقديس
بجوع بامتلاء
بسكون
مع رقصة ستي
في كل حال من الأحوال
الحب في الشام تماه
النارنج يصبح حباتٍ في سبحة الصوفي
والكباد عطر تسابيحه
والياسمين خيط يربط الحبات
أبو عبيدة بن الجراح يرقب ويسعد
وبولس الرسول يبارك ويرتل
والباب الشرقي يصبح أبواباً
والراحلون يعودون إلى ذواتهم المتعبة
لا شامة في الشام ترى..!
الشامة للعابد خال يرتسم على الجبين
يحمي السمع والبصر لتخرج إليه
أو لتدلف إليه
وتغمره لتشبع جوعه
وتطهر روحه
وتعيده إليها
في الشام مهاجروها الذين رأوها ملاذاً
وفي الشام صالحية الصالحين الذين أمنوا على أنفسهم
وفي الشام طرحة بيضاء لا تعرف دماراً ولا دماً
تلبسها كل صباح
وملائكة الرب يعتنون بها كل مساء
وحين تشرق الشمس على طرحتها يبدو بياضها
وفي المعبد يردد العابد سيرة شام
إنها العصية.. ما مرّ أحد من هنا
ما مر بها أحد من القذرين
ما مر هولاكو فيها
ولا عرفها تيمور لنك
ولم يستبحها الترك
كلهم بقوا خارج عشقها.. بعيداً عن الخال المختزن
فيه زيت حوت بحرها
وفيه عوسج جبلها
وفيه كباد بحراتها
لم يصلوا إلى الجوهر.. فما مرّوا بها
وما عرفوا ريق مائها
وما وصلوا بشفاههم المترهلة إلى المكنون بها
وحين تمسي لا يقر بها إنس ولا جان
وتبقى الشام تنز عطراً لا كالعطر
لم يشم ريحه سواه
ذرات ترابها سواك له ولروحه
وثنيات قاسيونها تلده كل لحظة
لرحمها الذي لم يلد غير حب
وكل يوم تلد روحها
وحدها لا تحتاج الأشهر التسعة
كل يوم تكتمل دورة مخاض الحب
فتخرج شام من شام
ويبدو نور من شام
وما بين شامة ونور تتجدد الحياة
ويندلح الطوفان من قاسيونها
المطر غزير
حين يسيل الماء يتشكل الطوفان
لا نوح هنا ينادي
ولا الزوج تأبى
ولا الابن يرفض أن يرافق أباه
يندلح ولا شيء يبقى
وحين تنقشع السماء تتكشف الشام
طاهرة.. لا شيء على أرضها سوى العبق
الشام والحب..! الشام حب ولا شيء سواه، هو وحده حياتها، وإن تهيأ للآخرين بأنها تعاني، فهي لا تعرف مستحيلاً، بأمرها يسير الحب، وبأمر حبها تتجدد الحياة كل لحظة، فلا هي تشيخ، ولا هو الذي يتعشقها يتعب من التقام هالة من نور تحيط بالقبة المثال التي تغطي عمامة الشيخ الأكبر.

**إسماعيل مروة**

### هاجسي وحبي الأخير هو النحت

# زياد قات لـ«الوطن»: ليس مطلوباً من النحات أن يكون شاعراً أو فيلسوفاً... فأنا أقدم البساطة

**سوسن صيداوي- ت: أسامة الشهابي**

الجمال ببساطته هو الهدف والغاية، والأسلوب يتجه نحو التجريدية المستفزة للفنان والمتلقي. أهداف وأفكار يؤمن بها الفنان التشكيلي زياد قات، النحات الذي أبعدته الظروف عن عرض ما تشكله أنامله وإزميله مع خاماته من شخوص، بعد أن كرّس معظم وقته وجهده في العمل بالديكور التلفزيوني. في هذه الفترة عاد إلى متابعيه من المختصين التشكيليين والمتذوقين، بمعرض ضم خمساً وثلاثين منحوتة متنوعة الأحجام، مشكّلة من خامات متعددة، تتفاوت بمشهديتها بين الوجوه والبشر والمرأة والأشكال التجريدية. ولتفاصيل أكثر حول المعرض نورد لكم.

### نحّات ساع للجمال

في البداية حدثنا الفنان التشكيلي زياد قات بأن معرضه يضم خمسة وثلاثين عملاً تعود لمراحل زمنية مختلفة، والقديم منها يعود إلى عام ٢٠٠٠، موضحاً اختلاف أسلوبه عبر الزمن «أنا خريج من الثمانينيات، وصحيح أن العمل في الديكور التلفزيوني أبعدني عن النحت، إلا أنني بقيت فيه منجزاً الكثير من الأعمال، ولكن ما حصل لي في الفترة الأخيرة، هو أن أسلوبي الفني لم يكن ثابتا، لأنني انتقلت ما بين الأسلوب الواقعي إلى التعبيري، ولكنني في النهاية وجدت نفسي ميالاً للأسلوب التجريدي، منوعاً بالعمل على الخامات، وعلى الرغم من ابتعادي عن النحت، لكنه بقي هاجسي وحبي الأخير، وفي الفترة الراهنة الظروف تحسنت قليلاً بالنسبة لي وأصبح لدي الوقت، وكانت كل الظروف مساعدة لعودتي للنحت بالأسلوب الذي أحبه أنا، وبالنسبة لي أرى الفن حرية وجمالاً مطلقين، لهذا أبدأ بالبحث منطلقا من المحيط كي أحس أنا أولاً بالجمال، لأتمكن من إيصال تعبيري في الجمالية للآخرين».

> الفن بالنسبة لي حرية وجمال مطلق.... ومؤخراً يستفزني الأسلوب التجريدي

وعن النحت السوري وما يعانيه من صعوبات أشار الفنان: «من خلال هذا المعرض أتوجه بالحديث إلى النحاتين الزملاء- الرواد- من أبناء جيلي، فأنا أشكرهم لمتابعتي الدائمة والتواصل معي، حتى في فترة ابتعادي وانشغالي بالعمل في الديكور التلفزيوني.

وبالطبع أنا لست متفائلا كثيراً بواقع النحت السوري، ولكنني داعم لزملائي النحّاتين الصامدين، الذين لم يتركوا هذه المهنة رغم كل المعوقات، وأتمنى بأن يتم دعمهم، لكونها مهنة مكلفة من ناحية المواد، وأيضاً تحتاج إلى الكثير من التسويق والعرض، ومن ثم إلى الكثير من الاهتمام والرعاية».

وعن عدم قولبة الفنان لنفسه في موضوع محدد يتابع: «ليس مطلوباً من النحات بأن يكون شاعراً أو فيلسوفاً، فأنا أحب أن أكون على طبيعتي، وبأن أقدم الجمال ببساطة من دون أي تعقيد، ما دام هناك حياة متغيرة وبحث مستمر في التراث والمعاصرة في المدارس الفنية، من هنا سنبقى في ركب التطور وسيبقى للجمال مكانته الرفيعة التي لا نستطيع أن نؤطرها. إذاً أنا لا أدعي أبدا ولا أقولب نفسي في أمر محدد، بل أنا أسعى للجمال وأبحث عنه بشكل مستمر كي أقدمه بشكل مناسب، والموضوع الذي يستفزني بأنني أصبحت أتذوق التجريد الذي هو من أصعب الفنون، والانسجام معه هو سعادة في العمل، وأحاول قدر الإمكان ألا ألتزم بأي موضوع، إلا بموضوع الجمال بشكل عام».

### إنجاز جميل لنحات جميل

من جهته عبر الدكتور إحسان العر رئيس اتحاد التشكيليين السوريين عن سعادته لحضوره معرضاً للنحت، لكون الصالات ابتعدت عن هذا الفن الراقي، مشيدا بالفنان قات وبأعماله: «زياد قات من الفنانين التشكيليين المهمين في الساحة التشكيلية، رغم انشغاله بعمله في الديكور التلفزيوني-عبر تواصلنا الدائم مع بعض-كنت ألمس دائماً بأن هاجسه هو النحت، وأنا سعيد جداً لمشاهدتي معرضه وخصوصاً أنه يحتوي على أعمال تعود إلى فترات زمنية مختلفة من حياته التي عاشها والتي عبر عنها من خلال خمسة وثلاثين عملاً حاضراً، هذا المعرض-من وجهة نظري-إنجاز جميل لنحات جميل. أما من حيث الأعمال الموجودة فنلاحظ العناية والدراية البالغة عبر الخامات التي اعتمدها النحات قات في أعماله، فمثلا آلية العمل وتقنيته على خامة الخشب تمنح المشاهد أعمالاً جذابة، وعلاقة الحب بين النحات والخامة التي يعمل عليها، تبدو واضحة في المنحوتات، وهذه اللغة الخاصة بين الإثنين هي مفتاح العبور إلى النجاح. وفي الختام زياد قات، نحات وفنان يعرف تماماً ما يفعل، واستطاع أن يقدم لنا منتجاً فنياً جميلاً يداعب عواطف المتلقي، وهذا أمر واضح من خلال متابعة المشاهد لتفاصيل المنحوتة من كل الزوايا. وأتمنى أن نرى لفناننا معارض قادمة وألا يبتعد عن النحت مجدداً».

### في «أفكار وتأملات» نعيش أكثر من حياة وندخل إلى عالم غوته

# عالم متفرد أدباً وشعراً وتأملاً.. ترك أفكاره وتأملاته كما ترك كتبه ونقده إرثاً وثقافة

**سارة سلامة**

يوهان فولفغانغ فون غوته (١٧٤٩ -١٨٣٢) هو أحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين، ترك إرثاً أدبياً وثقافياً ضخماً للمكتبة الألمانية والعالمية، وبصمة دامغة في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية، متنقلاً في أدبه بين الرواية والكتابة المسرحية والشعر والأدب الشرقي. ما زالنا إلى اليوم نتذكر أعماله الخالدة وأقواله المأثورة.

حيث تم إطلاق اسمه على أشهر معهد لنشر الثقافة الألمانية في شتى أنحاء العالم «معهد غوته» والذي يعد المركز الثقافي الوحيد لألمانيا الذي يمتد نشاطه على مستوى العالم، كما نُحت له عدد من التماثيل حول العالم. وضمن «المشروع الوطني للترجمة» صدر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب كتاب «أفكار وتأملات»، (تأليف يوهان فولفغانغ فون غوته) ترجمة الدكتور هاني صالح صالح الأستاذ في قسم اللغة الألمانية بجامعة (ديدوش) في الجزائر ومترجم معتمد في معهد غوته بدمشق والقاهرة. ويقع الكتاب في ١٢٠ صفحة من القطع الكبير. وصمم الغلاف عبد العزيز محمد. هذا الكتاب، الصغير حجماً، المكثف عبارة وتجربة ومعرفة، يجمع كتباً عديدة ويجعلنا نعيش أكثر من حياة، ويدخلنا عالم غوته، صاحب الديوان الشرقي، وملك العفاريت، وصبي الساحر، وفاوست وإجمونت، المتفرد أدباً وفكراً وتأملاً. ما أحوجنا، إنسانياً، إلى قراءة تأملات غوته وأفكاره: من تأملاته نعرف أهمية الاعتراف بالآخر، ومن أفكاره نقف عند مفهوم نقد الذات حباً وحرصاً.. ومن أفكاره، أيضاً، نقف على منابع المعرفة التي وصلت إليه، ثم تابعت إلينا.

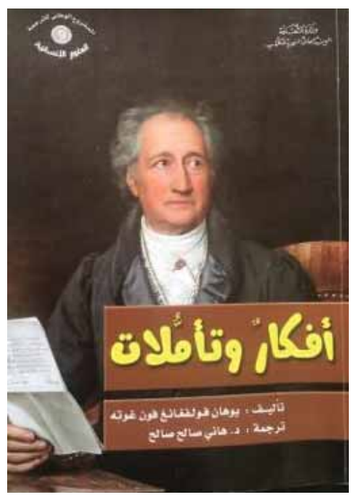


### غوته الغرب والشرق

ويقول الدكتور صالح في مقدمته: «غوته الشاعر و(الديوان الشرقي)، اسم يتردد على ألسنتنا ومسامعنا، غوته الغرب والشرق، عمل جدير أو صفقة شريفة لسنا قادرين على أدائها، أي أن نسعى إلى هدف لسنا بقادرين على تحقيقه مطلقاً. أما العذاب الأليم الناتج عن الشعور بعدم القدرة على التحقيق- مهما كانت الظروف- فإنه أشد إيلاماً للشخص كلما كان سعيه إلى هذا الهدف الحلم أكثر جدية وصدقاً. ولكن غالباً ما يحدث أن نرغب فيه ونأمل تحقيقه، ونجده مناسباً لقدراتنا وقد خلقنا لنكتفي به، في أثناء سيرنا على درب تحقيق ما هو ليس ممكناً بل مستحيلاً.

### في الأدب

يخضع الخاص دوماً للعام، وعلى العام أن يرتضي دوماً بالخاص. لا أحد سيداً للمنتج الخلاق، وعلى الجميع الرضوخ لذلك. الإدراك الذهني أساس كل عمل فني، صغيراً كان أم كبيراً، حتى في أدق تفاصيله.

كم هو قليل ما كتب عما حصل، وكم هو قليل ما وصلنا مما كتب! الأدب بطبيعة الحال مجزأ مقطع، ويضم نصباً تذكارية للعقل الإنساني طالما سجلت وحفظتها الأيام لنا. بنيت علاقتي مع شيلر على اتجاهنا الحاسم كلينا نحو هدف واحد، وبوسائل مختلفة، محاولين جهدنا لبلوغه. وقد كانت لي الملاحظة التالية حول اختلاف دقيق جداً بين وجهتي نظرينا، تحدثنا عنه ثم عاد ليذكرني به في موضع من إحدى رسائله لي: هناك فرق كبير بين أن يبحث الشاعر عن الخاص ليصل إلى العام أو أن يرى العام في الخاص، هنا تظهر استعارة مجازية، ففي الحالة الأولى لا يكون الخاص إلا مثالاً أو أنموذجاً للعام، أما الحالة الثانية فتمثل في الحقيقة طبيعة الشعر، تتمثل وتتحدث عن الخاص من دون أن تفكر أو حتى أن تشير إلى العام، ومن يتناول هذا الخاص ويمنحه الحيوية يحصل على العام أيضاً، وربما من دون أن ينتبه إلى ذلك أو على الأقل ينتبه بعد حين.

الناس كلهم يرون الموضوع، أما المضمون فلا يجده إلا من أراد أن يضيف شيئاً إليه، ثم إن الشكل مختبئ عن الأغلبية، ويبقى عنهم سراً مستوراً.

«يوجد فنانون لاحقون: أدعياء غير متخصصين، وانتهازيون، فالأدعياء يمارسون الفن للتسلية والآخرون للاستفادة».

ويذكر أن العنوان «أفكار وتأملات» استخدم أول مرة سنة ١٨٣٣ كتسمية لمجموعة صغيرة من أقوال غوته النثرية وحكمه، جمعها الناشر الذي تولى تصنيف أعماله.

غوته الأدب الألماني العريق، غوته الرؤية الإنسانية العالية. إن ما نحتاجه من غوته ليس الشرقي وحده. أن ما يلزمنا منه ليس تعاطفه مع الشرق فحسب. ماذا عن غوته المفكر والأديب والحكيم والسياسي؟ ماذا عن غوته القارئ والمتابع والقادر على الحكم؟ إن غوته عالم متفرد أدباً وشعراً وتأملاً، ترك أفكاره وتأملاته كما ترك كتبه ونقده، فكان التأمل جزءاً من كتاب، وكان حيناً للتفكر وحده».

### في الفلسفة

قد نلاحظ في معترك الحياة فجأة أننا وقعنا أسرى خطأ لم يكن في الحسبان تجاه أشخاص أو أشياء، كأن نحلم بعلاقة معهم سرعان ما تجافي الواقع عندما نستيقظ من هذا الحلم، ومع ذلك لا نستطيع التخلص من هذا التفكير، كأن هناك قوة لا ندركها تلزمنا بذلك، ولكننا قد نعي أحياناً بوضوح، وندرك أن الخطأ يمكن أن يدفعنا ويحفزنا، كما الواقع، إلى العمل والتصرف. وكما أن للعمل تبعاته في كل مجال، كذلك يمكن للخطأ- إذا دخل قيد الإنجاز- أن يصبح ذا تأثير بيّن، لأن تأثير كل عمل يؤدي يستمر إلى ما لا نهاية. وهكذا فمن الطبيعي أن يكون التنفيذ هو الأفضل، إلا أن للعدول عن هذا الحلم وعن تنفيذه حسناته أيضاً.

لكن الخطأ الأجمل والأروع هو ذاك الذي يتعلق بأنفسنا وبقوانا الذاتية، كأن نندفع إلى

# رحيل المصوّر الصحفي يوسف لوقا

**الحسكة - دحام السلطان**

نعت الأوساط الثقافية والفنية والإعلامية والرياضية في محافظة الحسكة وفاة الفنان الضوئي العالمي والمصوّر الصحفي والرياضي «يوسف لوقا تيودورس»، بعد صراع طويل مع المرض في مدينة أربيل العراقية التي غادر إليها للعلاج خلال الفترة الأخيرة الماضية عن عمر ناهز الـ٦٤ عاماً.

والفقيد هو عضو في نادي التصوير الضوئي في دمشق، وعضو نادي التصوير الضوئي الدولي «FIAB»، ويعد واحداً من أهم وأشهر فناني التصوير الضوئي على مستوى محافظة الحسكة والقطر، حيث بدأت مسيرته الفنية مع التصوير الضوئي منذ نعومة أظفاره، وأقام العديد من المعارض الفردية والمشتركة داخل القطر وخارجه منذ مطلع عقد الثمانينيات من القرن الماضي، ومن ثم تنالت مشاركاته في العديد من المعارض الدولية على مستوى الوطن العربي والعالم، ونال من خلالها العديد من شهادات التقدير والجوائز.

ويمتلك الفنان لوقا من خلال ما جمعته عدسته الضوئية التي لم تنضب وتتوقف عن العطاء على مدار أكثر من ثلاثة عقود من الزمن أرشيفاً فنياً يضم أكثر من ألفي لوحة متنوعة، تناولت التراث المادي للجزيرة السورية وامتدادها الإقليمي في عمق حضارة بلاد ما بين النهرين، ورسوم ومعالم الأوابد الأثرية التوثيقية السورية، وتعابير الحياة الإنسانية بمختلف ألوانها وطقوسها الاجتماعية، وهذا ما جعله أن يكون واحداً من أشهر فناني التصوير الضوئي ومن أهم رواد الحركة الفنية الضوئية الوطنية التي يُشار إليها بالبنان، وكان له من خلالها العديد من المشاركات والإسهامات في المعارض الضوئية على صعيد القطر والوطن العربي والعالم، وحصد من خلالها العديد من الجوائز والألقاب.

كما له الدور الرئيس في إبراز وتوثيق ذاكرة الموروث الشعبي الفلكلوري من خلال عدسته الضوئية التي لم تتوقف وتنضب عن العطاء في توثيق تراث الجزيرة السورية وامتدادها الإقليمي في عمق حضارة بلاد ما بين النهرين، ونال نتاجه الفني من خلال ذلك درجة كبيرة من الاهتمام لدى الباحثين والدارسين والنقاد.

وللفنان لوقا حضور مؤثر في المسيرة الصحفية لمعظم الإعلاميين والصحفيين ولدى جميع مؤسسات المجتمع الأهلي والمحلي على مستوى محافظة الحسكة وعلى مستوى القطر في جميع فعالياتها ونشاطاتها المتنوعة، ومن خلال وجود بصماته الضوئية في العديد من الدوريات والرسميات والمحليات من الصحف والمجلات المعروفة، وله العديد من الإسهامات الفنية الغنائية والموسيقية المشهود لها لسنوات خلت.

كما يعتبر الفقيد واحداً من أشهر الرياضيين على مستوى محافظة الحسكة الذين اقترن اسمهم باسم لعبة كرة السلة على مستوى المنتخبات المدرسية ونادي الخابور الرياضي، ومن ثم نادي الجزيرة ونادي الجيش والمنتخب الوطني منذ مطلع عقد السبعينيات من القرن الماضي ولغاية اعتزاله اللعب في عام ١٩٨٧، قبل الاتجاه إلى التدريب في نادي الجزيرة لمختلف الفئات العمرية وعلى صعيد الجنسين.

كما سبق للفقيد أن لعب لنادي الجيش بكرة القدم أثناء فترة خدمته للعلم كحارس للمرمى إلى جانب الحارس الأسطوري الشهير المرحوم «جورج مختار»، وحارس لمرمى منتخب القوى الجوية.

وله مشاركات عديدة وبطولات وألقاب أيضاً في ألعاب القوى والجمباز على مستوى القطر.